عوالم المرأة الشرقية في معرض منى طراد دباجي

لوحة تخضع لقانوني المتعة والمفاجأة

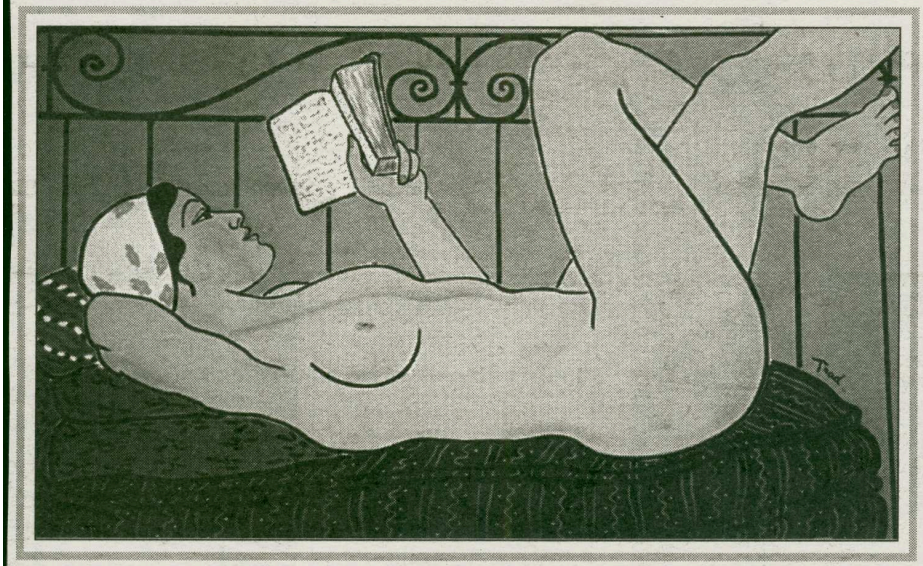

مستلقية على اريكة

ما تفعله آمال طرابلسي في صالة العرض التي تديرها «ايبروف دو آرتست» هي انها صارت الآن تختار او تنتقي الذي يستفز الذاكرة البصرية. ويقدم كشفا جديدا في المحاولات التشكيلية، التي باتت تخضع لشتى ضروب الاختبارية والتجاوز. انطلاقا من مفاهيم بعضها مستمد من صلب الغنائية التعبيرية، وبعضها الآخر يستمد مقوماته من فكرة «البوب آرت» او الفنون الشعبية التركيبية، فيما سنرى قسما اخيرا من هذه اللوحة يخضع لقانوني المتعة والمفاجأة.

ربما يشكل معرض الفنانة منى طراد دباجي المثال المباشر على كل هذا التجاوز الذي صار لزاما علينا ان نعايشه بوصفه الحالة المندمجة تلقائيا مع طبيعة التطلع الابداعي صوب معطيات المرحلة المقبلة. اي مرحلة غلبة تقنية المادة على الموضوع.

فالفنانة دباجي حين تباشر عملية إنشائها للعمل التصويري على المسطح، سواء أكان قماشة او (مازونيتا) صلبا، فانها سوف تدرس في البداية المؤثرات البصرية في المتلقي. اذ تضع نفسها تلقائيا خارج العمل، او على الأقل في موازاته. وهنا تتعامل مع «الصورة» كائن آخر يقف في مواجهة المتلقي. اذا نحن وكما وضعتنا الفنانة بتنا نعيش معادلة قوامها، كائنان متعامدان اولهما اللوحة وثانيهما المتلقي. ولكي تخلق الفنانة المستوى المطلوب للحوار الأكثر اثراً، تضع اللوحة برمتها خلف نافذة حقيقية. اي انها تشكل مساحة العمل من حقيقة اساسية قوامها النافذة الطبيعية المكونة من خشب وحديد ومسامير، مقابل حقيقة افتراضية اسمها المسطح المرسوم. وهو في الغالب يدور على موضوع المرأة العارية في جلستها الصباحية.

حتى الآن كما يجب ان نرى ذلك بوضوح وروية، فإن الفنانة تمارس تركيبا شكلانيا. يقوم على التأطير الطبيعي للعمل واستغلال الإطار كحاجب للنافذة بالقدر الذي يمنح الصورة موقعا وكينونة جديدين.

اذا انتهينا من هذا الجانب الشكلاني، سنذهب فورا صوب اسلوبية التنفيذ. فالفنانة لم تبتعد عن العالم «الماتيسي» لا من حيث المفردات النباتية والتفصيلات الحياكية، ولا من حيث طريقة بناء الجسد الشرقي الذي استمدت تركيبه العام من عالم الرؤيا الغربية للشرق، او من النظرة الاستشراقية للمرأة الشرقية وهي في خدرها!

ليس هناك من حواجز ما بين الفنان واسلوب رسمه. بل ان الاسلوب هو الشخصية التي يعلنها الفنان. لكن الحيز الذي يستطيع الناقد من خلاله مناقشة هذا الاسلوب يكمن في الطاقة الادائية ومستواها التقني.

عارية وراء النافذة

فاذا تعاملنا مع اشكال الفنانة دباجي النسوية، سنرى أن الصوغ اللوني للجسد. جاء بأسلوب تسطيحي يقوم على لعبة المساحة اللونية الملساء. وهي مساحة تكشف عن قامة الرسام نفياً وتأكيدا، بالقدر الذي تستطيع ان تكشف الجوانب المخفية والمهمة من الاسرار التشريحية.

من هذه الزاوية نرى بأن الكتلة الجسدية في لوحة دباجي، جاءت معزولة عن كل ما حولها من ديكور وألوان وعناصر. انها قوة مركزية مثبتة ضمن حدودها القاسية. لكن الفنانة التي ستغني الخلفية بالتفصيلات سوف تسرق نظر المتلقي وتشتته لكي تبعد عن مركز النظر اية نظرة اساسية او فاحصة.

الشكل العام للمرأة هو شكل ديكوري حتما، بل هو الانسجام التام مع خصائص المكان. مع ذلك فان بناء الخواص العميقة (البراسباكتيف) سيكون هاجس الفنانة، وهنا تزداد الاسئلة تشابكا. فنحن نقف امام اشكالية ثالثية التركيب قوامها: تأليف تسطيحي بلون موحد للجسد النسوي، خلفية ثرية بالتفصيلات الديكورية ترتكز على لون كاشف آخر. ومقدمة حقيقية لنافذة او «برفان» او كوة صغيرة. هذه العناصر المتفاوتة تؤلفها الفنانة كوحدة بصرية متكاملة. وتجبر المتلقي على التعامل معها كواقعة بصرية آنية وموحدة.

هنا نكتشف الكثير من البراعة، ولباقة التأليف. ووعي المعنى الجمعي للعناصر المتنافرة والمتآلفة في آن واحد. فنحن امام لوحة تركيبية بقدر ما هي تأليف استدراكي للمطالعات البصرية الشاملة لدى الفنانة.

ان موضوع اللوحة كما سبق وأشرنا هو نتاج الفنان والاسلوب لغته. لكن النافذة النقدية سوف تكشف امامنا ايضا ذلك الضعف التلقائي عندما تغيب المغريات البصرية عن اجواء اللوحة، فالموضوعات القروية التي ترسمها الفنانة، ليس فيها سوى التفصيلات التطريزية والخلفية المشبعة بالرمز. وهذا الأمر ليس بإمكانه خلق لوحة تعبيرية رمزية ذات ايقاع غنائي شفاف، بل سرد حكاية بأسلوب بسيط يصل الى المستويات الفطرية. حيث ستحاول الفنانة جهدها الصعود الى سقف اللوحة «النييف» التي هي اصلا بلا عمق (براسباكتيفي). لكن الفنانة وضمن اجواء هذه المثابرة في الجزء الثاني غير العاري من اعمالها، سوف تبدو اقل تجاوزا، بل اقل غنائية في المستوى التأليفي العام.

مع ذلك فإن التعامل مع معرض (منى طراد دباجي) يجب ان يتم ضمن إطار هذه الاحتمالات الثرية لبناء لوحة جديدة، تقدم ذاتها كوحدة شرقية غنائية ذات هاجس شاعري ولباقة متوازنة تقوم على فهم جيد بين المستويات الاختبارية والمطالعات البصرية العامة التي عاشتها الفنانة.

والفنانة هي من خريجي جامعة بيروت الاميركية، عضو جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت، عرضت في متحف سرسق ضمن صالون الخريف، اقامت معرضا في الكاميرون بافريقيا. وشاركت بمعارض جماعية كثيرة. كما عرضت في الأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٨ و٢٠٠٠ في إيبروف دو آرتست وعرضت ايضا في باريس وبيروت.

عمران القيسي